السَّلامُ عليكم

نزاعات لبنان في محاولات إنهائها

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

صفحة بيضاء

السَّلامُ عليكم

نزاعات لبنان في محاولات إنهائها

للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

أمم للتوثيق والأبحاث
نيسان ٢٠١٦
هاتف: ٠١/٥٥٣٦٠٤ | ص.ب.: ٢٥ ــ ٥ الغبيري ـ بيروت
www.umam-dr.org | info@umam-dr.org

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

Schweizerische Eidgenossenschaft
Confédération suisse
Confederazione Svizzera
Confederaziun svizra

Embassy of Switzerland in Lebanon

كان إنجـازُ هذه المطبوعة في إطار البرنامج المعنون «نهايـاتٌ كثيرة لنزاع ماضٍ قُدُمًا» الذي تنفّذه أمم للتوثيق والأبحاث بدعم من السفارة السويسرية في بيروت؛ على أنَّه، فإنَّ المسؤوليَّةَ عمّا تَتَضَمَّنُه هذه المطبوعة تَقَعُ، حَصْرًا، على أمم للتَّوثيق والأبحاث.

في إطــارِ المَشــروعِ العَريــضِ الــذي بَدأتْهُ أمم للتّوثيــق والأبحاث مِن أوّلِ انطلاقَتِها لنحوِ عشْــرِ ســنواتٍ خَلَتْ، والــذي تَرْجَمَتْ عنهُ سِلْسِــلَةٌ من المَشــاريعِ التوثيقيّةِ والبَحْثيّةِ والفَنّيّةِ، وبناءً على المُلاحَظَةِ المُلاحَظَةِ بأنَّ أيَّ نزاعٍ (مُسَلّحٍ)، «كبيرٍ» أمْ «صغيــرٍ»، يَحْمِــلُ في طيّاتــهِ مُقَدِّماتِ إنهائه، ولو الافْتراضيّةَ منها، كانتْ هذه المبادرةُ: «السّلام عليكم ــ نزاعاتُ لبنانَ في مُحاولاتِ إنْهائِها»، التي تَضْطَلِعُ بها أمم بدعمٍ مِن السفارة السويسرية.

شَــأْنَ مُبــادراتٍ أُخرى تَصَــدّت لها أمــم للتّوثيق والأبحاث، تَجمَعُ هــذه المبادرةُ العملَ التوثيقيَّ/ البحثيَّ إلى السَّعْي إلى تَوسيعِ دائرةِ النِّقاشِ، لا سيّما اللبنانيّ، في مَصائرِ هذا البَلَدِ حربًا وسِلمًا، وفي علاقةِ مكوّناتــهِ بَعْضِها بِبَعْضٍ، كما فــي علاقاتِ لُبنــانَ بِجِوارَيْه القريبِ والبعيدِ، ماضيًا وحاضرًا، ومستقبلًا بالطّبع...

المادةُ التوثيقيَّةُ ذاتُ الصلة بهذا البرنامج، والتي يتواصل تَيْويمُها، متوفــرة علــى قاعــدة البيانات: www.memoryatwork.org

ورغم أنَّ عُنوان هذِه المُبادرةِ، «السّــلام عليكم ــ نزاعات لبنانَ في محاولاتِ إنْهائِها»، قد يَبْدو مُحِلًا من الاسْــتِفاضةِ في بَيانِ القَصْدِ مِنْ ورائِها، لا بأسَ من بعــضِ المُلاحظاتِ التي تَضَعُها في ســياقاتِ اليَوْمِ وهمومِه.

صفحة بيضاء

بِكثيرٍ مِنَ اللامُبالاةِ احْتفلَ اللبنانيّونَ واللبنانيّاتِ عامَ ٢٠١٥ بِذِكرى مرورِ أربعينَ عامًا بالتّمامِ والكمالِ على اليومِ الذي شاءَت الصُّدَفُ أن يُؤَرَّخَ بهِ لاندلاعِ «الحربِ الأهليَّةِ»: ١٣ نيسان ١٩٧٥.[١]

والحالُ أنَّ هذه الذّكرى لَيْسَت الذّكرى (العَشْريَّةَ أو الخَمْسيَّةَ) الوَحيدةَ التي عَمَرَ بها ٢٠١٥، ومَرَّ بِها اللبنانيّونَ مُرورَ الكرامِ، أو ما يُشْبِهُ أن يكونَ مُرورَ كرام.

فَلَقد أمْكَنَهُم، لَوْ شاؤوا، أو أقلّه لو شاءَ البعضُ منهم، أن يَحتفلوا بالذّكرى الثلاثمائةِ بعد الثَّمانينَ على إعدامِ الأميرِ فخر الدين المعنيّ الثاني، الجّدِّ الأعلى، في عُرْف البَعْضِ مِنَ اللبنانيّينَ، لـ«الكيانِ اللبناني» (١٣ نيسان ١٦٣٥)، أو بالذّكرى الثلاثين على انْدلاعِ «حَرْبِ المُخيّمات»، أو بالذّكرى الثلاثينَ على

---

[١] من نافِلِ القَوْلِ أنَّ لِدخولِ ١٣ نيسان إلى الرّزنامة اللبنانيّة، ولتَحَوُّلِهِ إلى «عيد»، سيرةً بِرَسْمِ أن تُروى وتاريخًا بِرَسْمِ أنْ يُؤَرَّخ... في ما يعنينا هَهُنا، مِمّا يَسْتَوْقِفُ مِنْ ماجَرَياتِ نيسان ٢٠١٥، ويُخَبِّرُ عن أحْوالِ لبنانَ واللبنانيّينَ، ما كانَ مِنْ سِجالٍ مَدارُهُ على وَجاهَةِ الاحْتِفالِ بالذِّكرى المِئَويَّةِ على المِحْنَةِ الأرْمنيّة. فإذْ أعْلَنَ وزيرُ التربيةِ نَهارَ الجمعة ٢٤ نيسان عُطْلَةً للمدارس، «أثارَ [إعْلانهُ هذا] اعْتِراضًا واسِعًا في الأوْساطِ الإسلاميّة [السّنية]». وعلى الرّغم من «التأييد» الذي حَظيَ به قرارُ الوزيرِ من قِبَلِ مَجْلِسِ الوزراء، فإنَّ هذا التأييدَ لَمْ يَحُل دون أنْ تَرْتَفِعَ أصْواتٌ مُطالِبَةٌ «بِحَصْرِ القرارِ بالمدارسِ الخاصَّةِ التي تَرْغَبُ بذلك دون التَّعَرُّضِ للمدارسِ الإسلاميَّة [السّنية] والمدارس الرَّسميّة التي تَجْمَعُ في صفوفِها تَلامِذَةٌ من فِئاتٍ مُخْتَلِفَة»، ودون أنْ تَعْلو أصواتٌ أخرى مُطالِبةً بإحْياءِ ذِكرى مَقاتِلَ أخرى، («صبرا وشاتيلا، والبوسنة، وكوسوفو، وبورما...»)، أو دونَ أنْ تَرْتَفِعَ أصواتٌ تَعْتَبِرُ أنَّ في إحياءِ مِئَوِيَّةِ المِحْنَةِ الأرمنيّة «إثارةٌ للنعرات والفتن»؛ (أنظر عدد **النهار** الصادر في ٢٢ نيسان ٢٠١٥، وعدد **الأخبار** الصادر في اليوم التالي ٢٣ نيسان ٢٠١٥).

«قال الأزْهري: والعيدُ عِنْدَ العَرَبِ الوَقْتُ الذي يَعُودُ فيه الفَرَحُ والحزن»؛ لسان العرب.

«الاتّفاق الثلاثيِّ» (١٩٨٥)، أو بالذّكرى الخامسةِ والعشرينَ على اتّفاق الطائف (١٩٩٠) الذي يُجمِع اللبنانيّونَ، مع كلّ خلافاتهم، على أنَّ مُعظَمَ بنودِهِ الإصلاحيَّةِ ما تزالُ حبرًا على ورق ــ أو سِواها من المناسباتِ الّتي حَكَمتْ، قليلًا أو كثيرًا، على تاريخِ هذا البَلَد.[٢]

بصرفِ النَّظَرِ عن الأسْبابِ التي أدّت باللبنانيّينَ إلى هذه اللامبالاةِ بالذِّكرى الأربعينَ على اندلاعِ «الحربِ»، ــ وهي أسْبابٌ قد لا يخلو التَّدْقيقُ فيها من فائدة ــ فإنّ لامُبالاتَهم تِلكَ قابِلةٌ للاستدراكِ ولو بعد عام.

فالعامُ التّالي على انْدلاعِ الحربِ، ١٩٧٦، شَهِدَ أوَّلَ مُحاولةٍ جديرةٍ بأنْ تُوصَفَ بـ«الجديَّة» لـ«إنهاءِ» تلك «الحربِ»؛ وإنْ يَسْتولي النّسيانُ، وهو نِسْيانٌ مَفْهومٌ للوَهْلَةِ الأولى، على هذه المُحاولة، فإنَّ حَقّها مِنَ الذِّكرِ ومِنَ الاستذكارِ، وحقَّ مُحاولاتٍ أخرى، لا يتدنّى عن حقِّ «الحرب» في ذلك.

صَحيحٌ أنَّ هذه المحاولةَ لم تَبُؤْ بالفَشَلِ فَقَط ــ بشهادةِ ما تلاها مِنْ حُروبٍ وبِشَهادَةِ ما تَلاها مِنْ مُحاولاتٍ لـ«إنهاءِ الحربِ»، وصَحيحٌ أيضًا أنَّ البعضَ يؤرِّخُ بهذه المحاولةِ لِبدايةِ «الوجود» السّوري العسكريّ والأمنيّ والسياسيّ المَرْعيّ عربيًّا ودوليًّا في لبنان ــ وهو «الوجود» الذي لم ينتهِ رسميًّا إلّا عام ٢٠٠٥ ــ ولكن صحيحٌ أيضًا أنَّ ١٩٧٦ هي السَّنَةُ التي «انتهت» فيها «حربُ السَّنَتَيْن»![٣]

---

[٢] نَخُصُّ «حرب المخيَّمات» بالذِّكْرِ لأنَّها، لربَّما، النموذجُ الأبْلَغُ على هذا الصِّنْفِ مِنَ الحُروبِ التي شَهِدَها لبنانُ والتي تُريدُ «الاستقامَةُ السياسيَّة» ألّا يُذَكَّرَ بها وبِمُلابساتِ إنهائِها. على أنَّهُ فإنَّ مُوجِبَ «الاستقامَة السياسيَّة» إيّاهُ لا يَسْري على الحروبِ فَقَط بل على اتِّفاقاتِ السَّلامِ أيْضًا والمِثالُ المِثالُ على ذلك «الاتِّفاق الثلاثي». فَحَسْبُ المَرْءِ أنْ يُطالِعَ نَصَّ ذلكَ الاتِّفاقِ الذي وَقَّعَهُ، في دمشق، ثلاثَةٌ مِنْ أعْيانِ لبنانَ، (قُتِلَ أحدُهُم عامَ ٢٠٠٢ بانْفجارِ سيّارةٍ مُفَخَّخَة)، ــ نقول، حَسْبُ المَرْءِ أنْ يُطالِعَ نَصَّ ذلكَ الاتِّفاقِ لِيَتَبَيَّنَ أنَّهُ من اتِّفاق الطّائف في مَحَلِ «البِشارَة». ولكنْ حيثُ يَنْعَقِدُ ما يُشْبِهُ الإجماعَ على حَذْفِ «الثُّلاثي» من سيرة «العائلةِ اللبنانيَّة»، يترادَفُ الثَّناءُ على «الطّائف» حتّى مع إخْفاقِهِ في التّأسيس لـ«سلام مُسْتدام».

[٣] رَغْمَ الاخْتِلافِ في تَشخيصِ مَراحِلِ التَّدَخُّلِ السّوري في لبنانَ، غَلَبَت الإحالةُ إلى هذا التَّدَخُّلِ بـ«الوجود» دَفْعًا للتَّسْوِيَةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ «الاحتلالِ الإسرائيلي». ولعلَّ الصَّفحةَ الأولى من عَدَدِ **النّهار** الصّادِرِ في ٢٥ نيسان ٢٠٠٥ تُعَبِّرُ

انتهت «حربُ السَّنَتَيْن» ولم تنتهِ «الحربُ»، ومَعَها لمْ تنتهِ مُحاولاتُ إنهائها. فكانَ الاجتياحُ الإسرائيليُّ عام ١٩٨٢، وكانت مُحاولةٌ ثانيةٌ فاشِلةٌ لـ«إنهاءِ الحرب»، ثُمَّ كانت مُحاولةٌ ثالثةٌ، فاشلةٌ أيضًا، مع «الاتّفاقِ الثُلاثي»، ثمَّ كانَ الطائف و«أنهى» الحَرْبَ، أو قُلْ أنْهاها، ودَشَّنَ، في ظلِّ «الوجود» السّوري نفسه الذي جَدَّدَ، في ظلّ ظروف إقليميةٍ ودوليّةٍ سانِحَةٍ، أوراقَ اعتماده اللبنانية مرحلةً جديدة: مرحلةَ الشّراكةِ بينَ «إعادةِ الإعمار» و«المقاومة».

وعلى أنَّ إنفاذَ الطائفِ، بالمعنى الحرفيّ للكلمة، أي على معنى فرضِهِ كـ«أمرٍ واقعٍ»، اقتضى عملًا عسكريًا، وعلى أنَّ المرحلةَ التي دشّنها الطائِفُ لم تَخلُ من اضطراباتٍ داخليّة، ولا من حروبٍ «خارجيّةٍ»، لا بُدَ من الاعترافِ، ومِنْ التَّسليمِ، بأنَّ تلكَ الاضطراباتِ وتلك الحروبَ لم تُفلحْ، إلى حدٍّ بعيدٍ، في الانْتِقاصِ من الصّورةِ التي أُريدَ للبنانَ مِنْ وراءِ هذا الاتّفاقِ أن يَظْهَرَ عليها: صورةِ بلدٍ يتَلمَّسُ سبيلَهُ إلى «السّلامِ» مِنْ بعدِ أن وضَعت «الحربُ» (الداخليّةُ) التي مزّقتهُ، (أرضًا وشعبًا ودولةً ومؤسّسات...)، أوزارَها.

وهذا ما كان، أو ما شاعَ الانطباعُ أنه كائنٌ، ورَعَت «الوصايةُ السوريّةُ» التَّساكُنَ الودّيَّ بين مشروعَيِّ «المقاومةِ» و«إعادةِ الإعمار»[٤]. ودام هذا التَّساكُنُ، ودامَ ذلك الانطباعُ حتى ذلك اليوم من أيّام عامِ ٢٠٠٥ عندما هَزَّ بيروتَ انفجارٌ عملاقٌ أودى، في عِدادِ مَنْ أودى بِهم، برَسولِ «إعادةِ الإعمار»، وَوَلَجَ لبنانُ السّاعَةَ التي نحنُ

أصْدَقَ تَعبيرٍ عن التباسِ هذه الإحالة. ففي حين يُطالِعُ عَدَدُ **النهار** ذاك قرّاءَهُ بعنوانٍ عريضٍ نَصُّه: «السّاعات المقبلة تُنْهي ٣٠ سنة من الوجود السوري»، يُعَنْوِنُ غسان تويني افتتاحيته بـ«في اليوم الأوّل مِنَ "الجلاء"».

[٤] لم يَكُن بالأمْرِ اليَسيرِ على اللبنانيّينَ أن يَصِفوا سَنواتِ «الوجودِ» السوري التي امتدَّت من اتّفاق الطّائف إلى انْسحاب نيسان ٢٠٠٥. وإذ يُحيلونَ، اليَوْمَ، إلى هذهِ السَّنواتِ تَحْتَ مُسَمَّى «الوِصاية»، فالأرْجَحُ أنَّهُم يَدينونَ بهذا الاجْتِهادِ اللُّغوي (الذي يُبْرِئُهُم مِنَ المسؤوليّةِ عَمّا شَهِدَتْه تلكَ السنواتُ) إلى وليد جنبلاط الذي كان البادِئُ باسْتِعْماله خلالَ مُقابلة مُتَلْفَزَة؛ (**النهار**، ٢٧ نيسان ٢٠٠٥).

فيها، وهيَ ساعةٌ، وإنْ لم تَنقضِ دقائقها بعدُ، انْجذَبَ لبنانُ خلالَها، مرّاتٍ ومراتٍ، إلى تجارِبَ من العُنْفِ دَعَتْ في إحدى لحظاتِها القُصوى إلى تدخُّلِ المُصْلحينَ بين أطرافِ النزاعِ، وإلى عقدِ مؤتمرِ حوارٍ وطنيٍّ برعايةٍ إقليميّةٍ ودوليّةٍ؛ (مؤتمر الدَّوحة، ٢٠٠٨).

•

لا تَعْدُ المَحَطّاتُ المذكورةُ أعلاهُ أن تكونَ الأبْرَزَ بين محاولاتٍ كثيرةٍ بُذلت لـ«إنهاءِ الحربِ»، على أنَّ الجامِعَ بينها ــ وهِي مُحاولاتٌ نَشَطَتْ في سبيلِ إنْجاحِها دُوَلٌ قريبةٌ وبعيدةٌ، كبيرةٌ وصغيرةٌ ــ وبَيْنَ كُلِّ المحاولاتِ الأخرى، بما فيها المحليَّةَ منها التي يكادُ النسيانُ أنْ يطويها، ــ نقول: على أنَّ الجامِعَ بينها أنّ هذه كما تلك، لَمْ تَمْلِكْ، كائنًا مَنْ كانَ رُعاتُها، أن تَقْفِزَ فوقَ المواضيعِ الخِلافيَّةِ، أو المعدودةِ خِلافيَّةً، بين اللبنانيِّينّ، ولم تَمْلِكْ إلّا أن تَقترحَ لها حُلولًا، (أو تَسوياتٍ موقّتة).

بيتُ القصيدِ أن المُرَجِّحاتِ «الخارجيّةَ»، مَهما بَلَغَتْ مِنَ التأثيرِ سلبًا أو إيجابًا، (سلبًا حَدَّ التَّسَبُّبِ بانفجارِ النزاعاتِ الداخليةِ، وإيجابًا حَدَّ التَّمُكُّنِ منْ احتواءِ هذه النزاعات)، إنّما تبني على مُفْرداتٍ مَحَليَّةٍ؛ والحالُ أن للبنانيّينَ في عَدَدٍ منَ المُفْرداتِ التي تَعْبُرُ تاريخَهُمْ مِنْ قَبْلِ أن اسْتَقَلَّ بَلَدُهُم إلى يَوْمِنا الحاضرِ، (الطائفيّة، العُروبة، العَلاقةِ بسوريا...)، شاهِدًا على ما تَقَدَّم، وشاهدًا على أنَّ «إنهاءَ الحربِ» لا يُقاسُ فَقَطْ بما يَمُرَّ بهِ بَلَدٌ مِنَ البُلْدانِ مِنْ فَتَراتِ سُباتٍ للأعمال العسكريّةِ يكادُ أن يُشْبِهُ «السّلام»، بَلْ بِما يَتَطَوَّرُهُ النِّقاشُ في هذه المفرداتِ ــ لا سِيّما الخلافِيَّةَ مِنها. وللبنانيّينَ أيضًا، في استمرارِ هذه المُفردةِ أو تِلكَ من المُفرداتِ في التَّداولِ السِّجاليّ، أو خُروجها مِنهُ، (سواءً على معنى «التّقادُمِ»، أو على معنى «التَّغْييبِ» المقصودِ)، مؤشِّرٌ على ما يتّفقونَ عليه، وما يَختلفونَ في أمْرِهِ، عِلمًا أنَّ «اللبنانيّينَ» الّذين

يُحيلُ إليهم هذا الجَمعُ ليسوا هُمُ هُمُ على امتدادِ التّاريخ اللبنانيِّ، بما فيهِ الحديثُ المُعاصرُ منهُ، وحَسْبُ المرءِ أنْ يَنظُرَ مثلًا إلى الحِقْبَةِ المُمتدةِ مِنْ ١٩٧٥ إلى يومِنا الحاضرِ ليتبيَّن أنَّ محطاتِها الأبْرَزَ كانتْ أشْبَهَ بـ«الأبْوابِ الدّوّارةِ» لا يَخرجُ مِنْ خَلَلِها لاعبٌ مِنَ اللاعبين إلا لِيَلِجَ إلى المشهدِ لاعبٌ أو لاعبونَ آخرون، يُجدّدُ منهم مَنْ يُجدّدُ في مفرداتِ السّجالِ، أو يتبنّى مُفرداتٍ تَليدةً ويَستأنفُ تّأويلها وهكذا دواليك.

•

مَضَى على لُبنانَ حينٌ من الدَّهرِ، قريبٌ، بدا فيهِ أنَّ ما يَشهدُهُ مِنْ مُنازعاتٍ «وجوديّةٍ» بينّ مُكوِّناتِهِ، ومِنْ حروبٍ حارّةٍ وباردةٍ (تُسوِّلُ للأقربين والأبْعَدين المُشاركةَ فيها)، استثناءً على قواعدِ «الطمأنينةِ» السياسيّةِ و«السُّبات» الأمنيِّ التي تَعُمُّ «المنطقةَ».

ولَقدْ يبدو اليومَ، مع تحوِّلِ «المنطقةِ» إلى حُضْنٍ دافِىءٍ تتناسَلُ فيهِ نزاعاتٌ وحروبٌ، ويتجدَّدُ فيه شبابُ عداواتٍ وثاراتٍ ومُفرداتٍ كانَ الظنُّ، (أو ظنَّ البعضُ في الأقلِّ)، أنّها شاختْ إلى غَيرِ رجعةٍ، ــ لَقَدْ يَبدو أنَّ صِفَةَ الاستثناءِ تلكَ سَقَطَتْ عَن لبنان.

والحالُ أنَّ ما يبدو ليسَ ببعيدٍ عمّا هو كائنٌ حقًا، والحالُ أنَّ اللبنانيّينَ، مهما أنكروا وكابروا، مدعوّونَ، شأنَ كثيرٍ مِنْ جيرانِهم، في عِدادِ ما هُمُ مَدْعوّونَ إليه، إلى استئنافِ النَّظَرِ في النظامِ السياسيِّ الذي يَرعى حياتَهُم الوطنيّة. هو كذلك، على أنَّ سقوطَ هذه الصّفَةِ لا يَمحو من سِجلِّ لبنانَ، وتاريخهِ، ما كانَ مِنْ محاولاتٍ لِوقْفِ حُروبهِ وإنهاءِ نِزاعاتهِ، ولا يُطفِّفُ من قَدْرِ ما يُمْكنُ أنْ يُستفادَ مِنْ هذه المحاولاتِ، (بِمَا فيها الفاشِلةَ مِنها)، على نيّةِ لبنانَ كما على نيّةِ سواهُ، من عِبَرٍ ودروس.